JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

الإيحاءات الدّلاليّة لإضافة لفظ (عباد) في القرآن الكريم

https://doi.org/10.52834/jmr.v20i39.230

م.م. رقيّة محمد أمين كاظم

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

ryqea.kadhim@uobasrah.edu.iq

https://orcid.org/0009-0005-7270-9005

الملخص :

يعنى البحث ببيان بعض الدلالات الإيحائية لإضافة كلمة (عباد) في القرآن الكريم، وعند استقراء هذه الكلمة في الآيات الشريفة، وجدنا أنَّها وردت مضافة إلى: الاسم الظاهر مرة، وهي مضافة إلى اسمين فقط لا غير، وهما (الله – الرحمن)، وسعى البحث إلى بيان سرّ اختصاص إضافة لفظ عباد إلى هذين الاسمين الحسنيين وما المعاني التي يسعى النص القرآني إلى التنبيه عليها. ووجدناها في آيات أخرى تأتي مضافة إلى الضمير المتصل (نا المتكلمين – ياء المتكلم – كاف المخاطب – هاء الغائب)، وقد كان لكل ضمير دلالاته التي اختص بها، وبناء على ما تقدم خصصنا المبحث الأول للحديث عن دلالات الإضافة إلى الاسم الظاهر، والمبحث الثاني كان الحديث فيه عن دلالات الإضافة إلى الضمير.

الكلمات المفتاحية: دلالة، الإضافة، (عباد) في القرآن الكريم.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

Semantic Insinuations for Adding the Word "Worshippers" in The Holly Qura'n

https://doi.org/10.52834/jmr.v20i39.230

Ruqea Muhammad Amin Kazem

Basrah University, College of Education for Humanities

ryqea.kadhim@uobasrah.edu.iq

https://orcid.org/0009-0005-7270-9005

Abstract:

This study is concerned with showing some of the suggestive indications for the addition of the word "ibad" (servants) in the Holy Qur'an. When reading this word in the holy verses, we found that it was added to the apparent names, and it is added to two names only, namely ("Allah" and "Alrahman" (the Most Merciful). The study aims at explaining the reasons behind the addition of the word "ibad" to these names only and what meaning they convey that the Qur'anic text seeks to draw attention to. In some other verses, this word is added to some attached pronouns like (Na (1^{st} person plural) – Ya (1^{st} person singular) – Kaf (2^{nd} person singular)– Haa (3^{rd} person singular). It is found that each pronoun has its connotations that are specific to it. The first part of this study is devoted to talk about the indications of the addition of "ibad" to the apparent noun, while the second part will talk about the indications of its addition to the pronouns.

Keywords: semantics, addition, (the word "ibad" (servants)) in the Holy Quran

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ملاذ الخائفين غاية آمال الطالبين، والصلاة على خير عباده اجمعين الذي انزله رحمة للعالمين محمد، وعلى آله الهداة المهديين القادة إلى الصراط المستقيم ...

يدور في خلد كل انسان سؤال عن علة خلقه وتكوينه، وهو لماذا خُلِقت وما هدف خلقتي؟، وقد ظهرت في إجابة ذلك السؤال تيارات الحادية ومادية وغيرها من الأفكار التي تصب في ابعاد الانسان عن جادة الصواب، ولم يترك القرآن الكريم هذا السؤال من دون إجابة، فقد بيّنها في قوله سبحانه {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (سورة الذاريات 56)

فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان ونظم له حياته ووضع له الطريق والمنهج السليم الذي يربطه به، فالارتباط بالله سبحانه عن طريق العبودية كفيل بأن ينظم حياة الانسان ويجيب عن جميع أسئلته، فما هي العبودية التي أشار إليها النص القرآني؟

العبودية : هي اظهار التذلل والخشوع ، وهي الحقيقة الكونية السارية في كل أرجاء هذا العالم فلا يوجد هناك خيار لإنسان الا أن يكون فرداً كونياً يدور في الفلك، وكائناً حياً مريداً مختاراً، فالعبودية على نوعين : عبودية تكوينية: وهي التي تشمل جميع الناس من حيث علاقتهم التكوينية بالله سبحانه وتعالى بغض النظر عما إذا كانوا مطيعين أو عاصين ضالين، وكل من في السماوات والأرض هم عباد لله، وقد نبّه القرآن على هذه الحقيقة بقوله تعالى { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا } (سورة مريم 93)، والنوع الثاني هو العبودية الاختيارية : وهذا النوع هو الذي يتميز به الانسان لما متعه الله به من نعمة العقل والتفكير والاختيار، فهو بهذه القوة يستطيع ان يختار طريق الخير ويتوجه إلى الله ويرتبط به، او يتمرد على شريعته ويمضي في طريق الشر، فهو في النوع الأول كان مجبراً، اما هنا فهو مخير ، وقد اكد القرآن على هذا الامر فقال تعالى { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } (سورة الإنسان 3) ، ولأنَّ العبودية هنا اختيارية يختارها الانسان بمحض إرادته فهو مسؤول ومحاسب عليها يوم القيامة.([1])

ومن هنا يتضح أنَّ العبودية من أرقى المقامات التي من الممكن أن يصل إليها الانسان فهي الغاية من خلقه وإيجاده وهو مقام القرب بين العبد وربه، فقد تبين لنا أنَّ هذا الأمر فطري في الانسان وتكويني فهو لابدّ له من معبود يلتجأ إليه سواء أكان الله أم هواه، فإن اهتدى إلى طريق الله وسلكه، فقد وضع قدمه في طريق تحقيق الهدف، وبمقدار ترقيه في مدارج هذا المقام سيحصل على السلام والاطمئنان النفسي والذي سينعكس ايجاباً على حياته وأسرته ومجتمعه.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

وإيمانا بأهمية العبودية في حياة الانسان، خطر لنا أن نستجلي الدلالات الايحائية للإضافة في كلمة (عباد) في القرآن الكريم، وبعد استقراء لفظة عباد المضافة في القرآن وجدت أنها مضافة إلى اسم ظاهر مرة، ومضافة إلى ضمائر مرة أخرى، وعلى هذا كانت خطة البحث متكونة من: مقدمة ومبحثين وخاتمة.

تناولت في المبحث الأول: دلالة لفظة عباد عند الإضافة إلى الاسم الظاهر (عباد الله – عباد الرحمن)، وأما في المبحث الثاني: فقد كان دلالة لفظة عباد عند الإضافة إلى الضمائر (نا المتكلمين – ياء المتكلم، كاف المخاطب، هاء الغائب)، والخاتمة تضمنت أهم ما تُوصِل في البحث من نتائج. وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لاستنباط الدلالات الايحائية.

التمهيد :

أولاً: مفهوم الدلالة الايحائية:

الدلالة الايحائية أحد أنواع الدلالات غير المباشرة , وتعرف بأنها : " المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الايحاء نظرا لشفافيتها "(2) وعرفت أيضا بأنها " مجموعة من المعاني التي يمكن أن تتولد من اللفظة داخل السياق " وله هذا النوع من المعاني تأثيرات صوتية اذا كانت الكلمات تدل على بعض الأصوات التي تحاكي التركيب الصوتي للاسم نحو خرير الماء ، والتأثير الصرفي المتكون من جمع صيغتين نحو بحتر المنحوتة من بتر حتر، والتأثير الدلالي ويُعنى بالجانب المجازي أو المؤسس على المجاز الذي يترك فيه المعنى الحقيقي ويتجه السامع الى المعنى الذي يلزمه ويصاحبه (3).

ثانياً: مفهوم العبد بين اللغة والاصطلاح :

العبد في اللغة تشير الى الخضوع والتذلل ، إذ قال ابن منظور " أَصل العُبودِيَّة الخُضوع والتذلُّل "(4) , ويرى الراغب في مفرداته أنَّ " العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها، لأنها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [الإسراء/ 23] } . والعِبَادَةُ ضربان: عِبَادَةٌ بالتّسخير، وهو كما ذكرناه في السّجود. وعِبَادَةٌ بالاختيار، وهي لذوي النّطق، وهي المأمور بها في نحو قوله: { اعْبُدُوا رَبَّكُمُ [البقرة/ 21] }، {وَاعْبُدُوا اللَّهَ [النساء/ 36] } .

والعَبْدُ يقال على أربعة أضرب: الأوّل: عَبْدٌ بحكم الشّرع، وهو الإنسان الذي يصحّ بيعه وابتياعه، نحو: الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ،[البقرة/ 178] ، و{عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ [النحل/ 75] } . الثاني: عَبْدٌ بالإيجاد، وذلك ليس إلّا لله، وإيّاه قصد بقوله: { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً [مريم/ 93] } .

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

والثالث: عَبْدٌ بالعِبَادَةِ والخدمة، والناس في هذا ضربان: عبد لله مخلص، وعَبْدٌ للدّنيا وأعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها "(5) .

المبحث الأول

لفظة (عباد) عند الإضافة إلى الاسم الظاهر

1- عباد الرحمن:

اولاً: قال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً" [الفرقان: 63]

ورد لفظ (عباد الرحمن) في آيتين فقط ، وفي كلتيهما ورد لفظ الرحمن في سياق الآية قبل اضافته إلى كلمة (عباد)، إذ يقول تعالى " { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60) تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) } (سورة الفرقان 60 – 63)

نلحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى يأمرهم بالسجود للرحمن، ولم يقل اسجدوا لله، فلما رفضوا السجود ذكر الله صفات عباده، ولكن بإضافتهم إلى اسم الرحمن، فما السر في استعمال اسم الرحمن بدلاً من لفظ الجلالة؟

إنَّ الآيات التي في بداية السورة تذكر صفات الكافرين، وتبين مقدار استكبارهم وعنادهم، فهم قد أصروا على عدم السجودين عندما امرهم بذلك استكبارا وزادهم هذا الامر نفورا، وتساءلوا مستهزئين (ما الرحمن؟) مثل ما قال فرعون (ومارب العالمين) رداً على موسى، حتى أنَّهم لم يستعملوا أداة السؤال عن العاقل (من) بل قالوا (ما)؟ فجاءهم الجواب بذكر أحد أوضح آيات الله التي أنعم بها على الانسان وأكبرها وهي الشمس والقمر، واختلاف الليل والنهار، وبعدها يذكر الله سمات عباده الذين لا يستكبرون عن عبادته وأوامره واطلق عليهم اسم (عباد الرحمن) ([6]).ومن خلال البحث في كتب المفسرين وقفنا على اكثر من رأي ، فمنهم من يقول تعريضاً بمن رفض السجود أضاف (عباد) إلى (الرحمن)([7])، ومنهم من قال "لما ذكر في الآية السابقة استكبارهم على الله سبحانه و إهانتهم بالاسم الكريم: الرحمن، قابله في هذه الآية بذكر ما يقابل ذلك للمؤمنين و سماهم عباداً و أضافهم إلى نفسه متسمياً باسم الرحمن الذي كان يحيد عنه الكفار و ينفرون" ([8]) .

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

وهناك من يرى أنَّ أكثر الأسماء ملائمةً لدعوة الكفار إلى الخضوع والسجود بين يدي الله هو (الرحمن) لما فيه من الرحمة الواسعة ولما استهزأوا وانكروا اسم (الرحمن) عرّفه الله لهم بآيتين، ثم شرع في بيان وصف عباده بإضافتهم لهذا الاسم المبارك ([9]).

إنَّ من إعجاز القرآن وجماله أن يحتمل جميع هذه الوجوه وغيرها، فلو أردنا أن نحلل سياق الآيات ولماذا دعا الله سبحانه الكفار إلى السجود باسم الرحمن؟!، لا بدّ أن نعرف معنى كلمة (الرحمن) لغةً.

الرحمن: مشتق من الرحم وهو الرحمة والرقة والتعطف والمرحمة، ورحمن على وزن فعلان بمعنى المبالغة والكثرة أي أنَّ رحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين وهو اسم مقصور على الله عز وجل ([10])، والرحمن اسم يدل على الرحمة الكثيرة التي يفيض بها الله سبحانه وتعالى على المؤمن والكافر، وهو أعم من اسم الرحيم الذي يدل على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية، والرحيم خاص بالمؤمنين ([11]).

وإذا ما عدنا إلى السياق لربطه بهذه الدلالة، فالآية قبل أن تذكر صفات عباد الرحمن كانت تبين جانب من صفات الكافرين. و إنَّ الله سبحانه بالرغم من عصيان الكافرين وتكبرهم، لم ينزل عليهم العذاب، ولم يمنع عنهم رزقه بل على العكس نجد في سياق الآية تعداد لآيات الله سبحانه ([12]) والتي في حقيقتها هي نِعمٌ أنعم الله بها على البشر جميعا، ومنها: ارسال الرياح ، ونزول المطر، واحياء الأرض الميتة، وخلق السموات والأرض، وجعل الشمس والقمر ، واختلاف الليل والنهار ،والخ من النعم الإلهية، ولا شك في أن هذه النعم يتنعمُ بها المؤمن والكافر؛ لذلك يمكن القول إن الله سبحانه يدعو الضالين والمعاندين لعبادته والسجود له باسم الرحمن، أي اسجدوا للذي تعيشون في كنف رحمته، فهو لم يقل اسجدوا لخالقكم او لربكم، بل خاطبهم بالشيء المحسوس الذي يلمسونه ويعيشونه يومياً بحياتهم بفضل الله ورحمته، فلما كان السياق والجو العام للآية عن تعداد النعم العامة الرحمانية ناسب أن تضاف كلمة عباد إلى الرحمن، وليس إلى أي اسم اخر من اسمائه سبحانه وتعالى.

ومن جانب آخر إنَّ هذه الارزاق والنعم نفسها يرزقها الله للمؤمنين والكافرين به، لكنَّ الفرق أنَّ الصنف الأول عرفوا حقها وشكروها وأطاعوا رازقهم، فاستحقوا أن يكونوا (عباد الرحمن)، والصنف الثاني كفروا بها وجحدوها ولم يشكروا من أنعم بها عليهم، فلو نظرنا من هذه الزاوية سنجد أنَّ في استخدام هذا اللفظ تعريض بالكافرين وبقلة عقلهم بحيث أنهم أنكروا كل هذه البراهين والأدلة الواضحة.

ثانياً: واما بالنسبة للآية الثانية التي ورد فيها ذكر (عباد الرحمن)، إذ قال تعالى: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: 19]

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

فالكلام نفسه ينطبق عليها، إذ إن في الآية تعداد للنعم أيضاً وذكر لعناد الكافرين واصرارهم على الكفر بل حتى أنهم ادعوا أنَّ الملائكة بنات الله، وكلمة (الرحمن) وردت في سياق الآية قبل أن تذكر لفظ (عباد الرحمن) التي جاءت تنزه الملائكة عن الوصف الذي وصفوهم به.

2- عباد الله:

إنَّ لفظ الجلالة عندما يضاف إلى أي اسمٍ يشرفه، وإضافته إلى (عباد) فيه غاية التشريف والتكريم لهم، وهذا ما نراه واضحاً وجلياً في سياق الآيات فـ(عباد الله) جاءت في سبعة مواضع في القرآن الكريم:

آية في وصف اهل الجنة، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)} (سورة الإنسان 5 – 6) .

ومرة على لسان موسى (ع) {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18)} (سورة الدخان 17 – 18) في هذه الآية تفسيران لكلمة (عباد الله) فمرة يقولون إنَّ المقصود فيها فرعون وقومه، وتفسير اخر يرى أنَّ بني إسرائيل هم المقصودون ([13]). والسيد الطباطبائي يرى أنَّ " المراد بعباد الله بنو إسرائيل وعبر عنهم بذلك استرحاما وتلويحا إلى أنهم في استكبارهم وتعديهم عليهم إنما يستكبرون على الله لأنهم عباد الله" ([14])

والواضح من كلمة (عباد الله) في هذه الآية ليس التشريف وإنما التعريض والتلويح بفرعون بالتفسيرين سواء أكان المقصود فرعون أم بني إسرائيل، فلو كان المقصود فرعون فموسى يريد أن يعرض به ويخبره بأنك عبد مملوك لله فلا تتكبر؛ لأنه ادعى الربوبية فالقرآن يعبر عنه في قوله تعالى {فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)} (سورة النازعات 23 – 24)، واذا كان المقصود بني إسرائيل فأيضا الغرض هنا التعريض بفرعون؛ لأنَّه جعلهم عبيداً عنده، قال تعالى { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (سورة القصص 38)، فجاء التعبير بهذا اللفظ لتنبيهه أنهم عباد الله وليسوا عبيدك. ولا أرى في السياق استرحاماً كما مر في تفسير الميزان.

- ***عباد الله المخلصين:***

واما الآيات الباقية جاءت كلمة (عباد الله) موصوفة ومقيدة بكلمة (المخلصين)، وكلها وردت في سورة الصافات. ولا بد من معرفة معنى المخلصين؟ قبل تحليل الآيات المباركة.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

المخلَصين بفتح اللام هو اسم مفعول مشتق من الفعل أخلص، ومصدره الإخلاص، والإخلاص: هو تخليص العمل عن أي شائبة كثيرة او قليلة، والمخلص هو من يكون غاية عمله التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فقط من دون أي نية أخرى. أما المخلَص بفتح اللام هو من أخلصه الله تعالى لنفسه، ولا يوجد في قلبه شيء سوى الله سبحانه وتعالى، أي أنَّ الله أخلصه من كل شيء يؤثر في عبوديته كالشرك والرياء ووساوس الشيطان.([15])

وإذا كان هذا هو معنى الإخلاص وأنَّ إضافة لفظ الجلالة إلى كلمة عباد فيها غاية التشريف والتكريم كما قلنا قبل قليل، فإنَّه قد زاد مع الإضافة تشريفاً وتفضيلاً واعطاه روحاً وحياةً بصفة (المخلَصين).

فنجد أنَّ الله سبحانه يستثنيهم من العذاب الذي أعده للكافرين نتيجة كفرهم، ويخصهم برزق معلوم ونعم خاصة بعباده الذين أخلصهم لنفسه، قال تعالى {وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ – إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ – أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ...} – الصافات (39– 41)

وتارة نجد الآيات تخرجهم من دائرة سوء العاقبة كما في قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (74)} (سورة الصافات 72 – 74)

وفي آية أخرى يذكر الله سبحانه قصة قوم الياس وتكذيبهم إياه ويتوعدهم بإحضارهم مكرهين يوم القيامة للجزاء على أعمالهم السيئة من تكذيب الرسل وغيرها، وفي سياق هذا التهديد والوعيد بإحضارهم جميعاً للعقوبة ، يستثني عباده المخلصين([16])، فيقول تعالى {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127) إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (128)} (سورة الصافات 123 – 128)

ومن أجمل الآيات التي كرّم الله سبحانه وتعالى بها عباده المخلصين والتي يظهر فيها علو منزلة هؤلاء العباد ومقدار قربهم وتعلقهم بخالقهم عز شأنه، قوله تعالى {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (160)} (سورة الصافات 158 – 160)، أحد التفسيرات لهذه الآية أنَّ عباد الله المخلصين لا يقولون مثل هذا القول على الله سبحانه وتعالى ويجعلون بينه وبين الجنة نسباً ([17]).

اما السيد الطباطبائي فيورد تفسيراً جميلاً ورائعاً لهذه الآية، فيرى أنَّ الله سبحانه وتعالى ينزه نفسه عن كل صفة يصفها به خلقه، فالله جل وعلا لا تدركه العقول ولا يمكن أن تصل إلى فهم كنه ذاته فأي صفة يصفونه بها ستكون محدودة بمفاهيم العقول القاصرة، والله اجل من كلما وصف به وما توهم أنه هو، إلا عباده الذين

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

أخلصهم لنفسه فعرفهم نفسه وأنساهم غيره، فهم يعرفون غيره به، فاذا وصفوه في نفوسهم وصفوه بما يليق به سبحانه وبساحة عظمته وكبريائه، وإذا تكلموا بألسنتهم فاعترفوا بقصور الالفاظ والمعاني عن البيان.([18])

واخر آية جاء فيها ذكر (عباد الله المخلصين) على لسان اهل النار، {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (169)} (سورة الصافات 167 – 169)

فالكفار في هذا الموضع يريدون القول إنَّ عباد الله المخلصين أصبحوا على ما هم عليه من الشأن بسبب مجيء الأنبياء والرسل والكتب السماوية إليهم، أي علقوا هداية عباد الله على العلم الذي وصل إليهم، وهم لم يصل إليهم ما وصل إلى العباد المخلصين، ولو جاء لهم لكانوا ايضاً من عباد الله المخلصين وربما أفضل، فيلتمسون لأنفسهم العذر بعدم قيام الحجة عليهم وهذا خلاف الحقيقة، فالله اعدل وارحم من ان يعذب قوماً لم يلق عليهم الحجة وبعثة الأنبياء والرسل والكتب السماوية أفضل دليل ([19]).

نلحظ من سياق الآية وكأنما أهل النار يحسدون عباد الله المخلصين؛ لما رأوه من الدرجة والشأن العظيم الذي لهم في الآخرة، فيحاولون التقليل من قيمة عملهم في الدنيا وذلك بذكر أسباب وصولهم إلى هذه الدرجة، وأنَّ أي شخصٍ يأتيه مثل ما أتاهم من الذكر لأصبح مثلهم بل ربما أفضل ويقصدون بذلك انفسهم، وما قالوا ذلك إلا لنفي أي مزية او فضل لأولئك العباد الذين منَّ الله عليهم بمعرفته واخلصهم لنفسه، وهذا يكشف أن اهل النار حتى وهم في العذاب إلا أنَّ نفوسهم سقيمة خبيثة ما زالت تحمل الحقد والحسد ولم تتب إلى بارئها، وهذا يذكرنا بالآية التي تقول: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} (سورة الزخرف 77)، فحتى وهم في النار لم يقولوا (ربنا) بل (ربك)، أي على رغم العذاب الذي يتجرعوه ما زالوا كافرين.

ونخلص إلى أنَّ لفظ (عباد) عند اضافتها إلى الاسم الظاهر، (الله، والرحمن) فيه نوع من التشريف، ولكن يختلف السياق، فعند تعداد النعم وتذكير الجاحدين بها، يأتي اسم الرحمن الذي يرزق ويرحم البر والفاجر، وعند إرادة التشريف والتعظيم والاشارة إلى علو المنزلة يرد لفظ الجلالة وهذا هو الغرض الغالب في جميع الآيات ما عدا واحدة، كانت دلالة (عباد الله) التعريض ببعض المستكبرين.

المبحث الثاني

إضافة لفظ (عباد) إلى الضمير

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

نلحظ من خلال استقراء الآيات القرآنية المباركة أنَّ لفظ عباد أضيفت إلى مجموعة من الضمائر هي (نا المتكلمين – ياء المتكلم – كاف المخاطب – هاء الغائب) ([20]). وسنتناول دلالة كلمة عباد عند اضافاتها إلى هذه الضمائر، ودلالة السياق الذي وردت فيه:

1- عبادنا:

وردت كلمة عبادنا اثنتي عشرة مرة في القرآن في عشر آياتٍ كان المقصود بها الأنبياء والمرسلين أي أولياء الله واصفيائه مثل قوله تعالى {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} (سورة ص 45) وكذا بقية الآيات ([21]).

إنَّ إضافة العباد إلى (نا المتكلمين) فيه تشريف وتعظيم للجهة التي ينتسب إليها أولئك العباد المصطفون ودلالة على علو منزلتهم وقدرهم، فالله سبحانه وتعالى عندما يريد أن ينسب الأنبياء يعبر عن ذاته المقدسة بلفظ الجمع فلا يقول (عبادي) بل (عبادنا)، وجاءَ في تفسير «روح المعاني»: "لا إشكالَ في التَّعبيرِ عن الواحد بالجَمْعِ، فقد جاء في غير ما موضعٍ. وذكر علماءُ العربيَّة أنَّه يكون لفائدتين: تعظيم الفاعل، وأنَّ مَنْ أتى بذلك الفعل عظيم الشَّأن بمنزلة جماعةٍ؛ كقوله تعالى: {إِنَّ إبراهيم كَانَ أُمَّةً} [النحل: 120] ؛ ليرغب الناس في الإتيان بمثل فعله، وتعظيم الفعل –أيضًا– حتَّى أنَّ فعله سجيَّة لكلِّ مؤمن"([22])، وهذا اللون من التعبير كأنما فيه اثبات لعظيم شأنهم واثبات لهويتهم وأهميتها في حياة البشرية، بحيث عندما يُذكرون ينتسبون إلى الله بلفظ الجماعة، وهذا المعنى لا نجده عند الإضافة إلى ياء المتكلم، مثلما سيتضح لاحقاً.

ويستثنى من ذلك آيتان وردت فيها كلمة (عبادنا) ولم يكن المقصود فيها الأنبياء الأولى قوله تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} (سورة مريم 63) هذه الآية تحمل المعنى نفسه من التشريف والتعظيم للعباد وإن لم يكونوا انبياءً، فبتقواهم استحقوا أن يعطيهم الله هذا الشرف والرفعة.

اما الآية الثانية وهي قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (سورة فاطر 32) إن إضافة (نا) إلى عباد فيها نوع من التمجيد والمدح ([23]) زيادة على كلمة (اصطفينا)، ولكن الاختلاف الذي وقع في هذه الآية في من هم المصطفون؟ ومن المقصود بعبادنا؟ وكيف يكون عبداً اصطفاه الله وهو ظالم لنفسه؟

قيل إنَّ المقصود بالعباد المصطفين هم: الأنبياء، وقيل هم بنو إسرائيل، وعلى رأي هم أمة محمد (ص)، وقيل: هم العلماء من أمة محمد، وما نُقِل في الروايات عن الصادقين (ع) أن المقصود هم ذرية النبي (ص) من ولد فاطمة (ع)، واُختلِف في الضمير (منهم) فإذا كان يعود على (اصطفينا) فالأصناف الثلاثة الواردة في الآية كلها شركاء في الوراثة، ولكن الوارث الحقيقي والحافظ للكتاب هو السابق بالخيرات، و يحتمل أن يكون راجعا إلى

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

عبادنا – وهنا تصبح إضافة لفظ (عباد) إلى الضمير (نا) لا تفيد التشريف – فيكون قوله: "فمنهم" مفيدا للتعليل و المعنى إنما أورثنا الكتاب بعض عبادنا و هم المصطفون لا جميع العباد لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق و لا يصلح الكل للوراثة([24]).

2- *عبادي*

يمكن القول إنَّ من أجمل الآيات القرآنية التي تبعث الأمان والطمأنينة في نفس الانسان هي التي تحوي كلمة (عبادي) فترى أنَّ هذه اللفظة ترد في السياقات التي يكون الخوف او الرعب واليأس هو سيد الموقف بحيث يفقد بها الانسان رباطة جأشه ويصل فيها إلى طريق يظن فيه أنَّه لا مخرج ولا منجى وانتهى الامر. في وسط هذه الظروف المضطربة والمشاعر المتضاربة تمتد إليه يد الرحمة الإلهية وتمسح على قلبه ليسكن ويستقر ويد الرحمة هذه تظهر بياء المتكلم التي تضاف لكلمة عباد والأجمل أن هؤلاء العباد ليس المقصود بهم الصالحين لا بل في عدة آيات يُقصد بها العاصون والمذنبون. فالله سبحانه وتعالى عندما كان بنو إسرائيل أمام البحر وفرعون من ورائهم وظنوا أنَّهم هالكون لا محالة، جاء الامر الإلهي {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} (سورة طه 77)، وفي آية أخرى: {وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} (سورة الشعراء 52) ([25]).

يالروعة هذا التعبير وجماله فالله سبحانه وتعالى في سياق الحديث عن بني إسرائيل غالبا ما يذكرهم باسمهم {فَأَرْسِلْ مَعَنَا **بَنِي إِسْرَائِيلَ** وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} (سورة طه 47)، ولكن في الموقف الحرج الذي أصبحوا فيه ضعفاء لا منجٍ لهم إلا هو سبحانه، لم يقل لموسى أسرِ ببني إسرائيل، بل بعبادي وهم بنو إسرائيل الذين فعلوا ما فعلوا مع موسى.

ونجد في آيات أخرى كلمة (عبادي) تحاكي الحالة النفسية للعبد، فعندما يشعر الانسان بالضياع واليأس تأتي ياء المتكلم لتعطيه الأمان والشعور بالانتماء إلى معبود كريم عظيم عزيز مقتدر الخ...

إنَّ شعور الانسان بالانتماء حاجة نفسية ملحة في نفس الانسان تقوّم سلوكه وتعطيه الشعور بالاستقرار وهذا ما تؤكد عليه الدراسات النفسية ([26])، والله خالق الانسان وأعرف به من نفسه ويعلم أنَّ هناك مواقف تمر على الإنسان يشعر فيها باليأس او الضياع أو الحيرة، وفي هذه المواقف بالذات يحتاج الفرد إلى من يشعره إنه منتمٍ إلى قوي غني مطلق يستطيع أن يلجأ إليه في كل المواقف، فالإضافة إلى ياء الجلالة تمنح هذا الشعور للإنسان وتعطيه العلاج الذي يعيد إليه رشده ويهديه إلى الصراط المستقيم.

فالشيطان عندما يقسم بعزة الله انه سيغوي بني آدم أجمعين {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (سورة ص 82)، يأتي الرد الإلهي {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (سورة الحجر 42) ([27])، ما

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

أجمله من جواب يعطينا الأمان بأنَّ الله يدبر أمورنا ونحن عبيده ولن يتركنا او يكلنا إلى الشيطان إذا ما اعتصمنا به جل جلاله.

وهناك آيات لو تأملناها نجد أنَّ لها مفعول السحر في بعث الطمأنينة والأمان في النفس البشرية. وهي غاية الرجاء، ولا تشعرك بالانتماء فقط لا بل تمنحك إحساس الطفل الصغير الذي لا يفقه من الدنيا إلا أنَّ هذه الام هي التي تحميه وتطعمه و أي شيء يعترضه ستبادر هي إلى حمايته ففي عقلية الطفل أنَّ أمّه موجودة دائما وهي على استعداد لحمايته من كل خطر، تسمعه، تبقى قريبة منه تسليه وتداعبه، هذا الإحساس الرائع والجميل بالأمان الذي يحس به الطفل والذي نفتقده جميعا عندما نكبر، كأن الله سبحانه بكلماته النورانية المقدسة يعيده في نفوسنا فيقول تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (سورة البقرة 186)،

ما جاء في تفسير هذه الآية في كتب التفسير كلها يؤكد على هذه الحقيقة([28])، ومن أوفى ما قرأت في تفسيرها هو ما كتبه السيد الطباطبائي، فقد جاء في الميزان: "و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، أحسن بيان لما اشتمل عليه من المضمون و أرق أسلوب و أجمله فقد وضع أساسه على التكلم وحده دون الغيبة و نحوها، و فيه دلالة على كمال العناية بالأمر، ثم قوله: عبادي، و لم يقل: الناس و ما أشبهه يزيد في هذه العناية، ثم حذف الواسطة في الجواب حيث قال: فإني قريب و لم يقل فقل إنه قريب، ثم التأكيد بإن، ثم الإتيان بالصفة دون الفعل الدال على القرب ليدل على ثبوت القرب و دوامه، ثم الدلالة على تجدد الإجابة و استمرارها حيث أتى بالفعل المضارع الدال عليهما، ثم تقييده الجواب أعني قوله: أجيب دعوة الداع بقوله: إذا دعان، و هذا القيد لا يزيد على قوله: دعوة الداع المقيد به شيئا بل هو عينه،...، [و] الآية قد كرر فيها – على إيجازها – ضمير المتكلم سبع مرات، و هي الآية الوحيدة في القرآن على هذا الوصف"([29]).

ويطلب منا سبحانه وتعالى ان نلتجأ اليه وإنْ أخذتنا الدنيا وإن أسرفنا على أنفسنا بالمعاصي والذنوب حتى نظن أنَّه لا أمل لغفران ذنوبنا ونجاتنا فيأتي كلام الله ويبعد هذه الفكرة من اذهاننا كيلا نقع في اليأس فيقول تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (سورة الزمر 53) ، قد روي عن هذه الآية أن أمير المؤمنين قال عنها إنها أرجى آية في كتاب الله، وبالفعل لو تأملنا في كلمات هذه الآية نجد فيها الرقة في الخطاب والدعوة إلى الامل والرجاء والثقة بالله وبغفرانه وعفوه، فالله أرحم بعباده من الام الحنون بولدها.([30])

وفي آية أخرى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (سورة الحجر 49).

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

أغلب الآيات التي وردت فيها (عبادي) المضافة إلى ياء المتكلم يتردد معناها بين الدلالات التي ذكرناها سابقاً وغيرها، أي بين الرجاء والعفو والرحمة والمغفرة وحتى للتشريف([31])، وبث الشعور بالأمان والانتماء إلى الواحد الاحد وغيرها من المعاني الرقيقة الجميلة التي تدفع الانسان إلى الخجل من نفسه عندما يتأمل في كرم الله ولطفه وشدة حبه لعباده، بغض النظر عن سياق الآيات ومن هم المقصودون بكلمة عبادي، فنجدها تأتي في مواضع الخوف والشدة ومواضع الرحمة والرجاء وغيرها، وما هذا التنوع في السياقات إلا دليل حب الله لعبده ورأفته به في كل حال.

ولكن هناك آية أُختلف فيها، وهي قوله تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} (سورة الفرقان 17 – 18)

إنَّ إضافة الياء هنا اما للترحم بحالهم وهم في ذلك الموقف العصيب، أو لتعظيم جرمهم لعبادتهم غير الله سبحانه ([32])، أما ابن عاشور فيرى أن مصطلح عباد إذا اضيف إلى ضمير الجلالة فالمراد به المؤمنون غالباً، ما عدا هذه الآية؛ لأن القرائن في الآية تدل على أن الإضافة ليست للتقريب، ومن القرائن التي يذكرها مقام التوبيخ، وصفة الاضلال، وقد أكد على هذا الرأي أكثر من مرة في تفسيره. ([33])

3- عبادك:

من الضمائر التي اتصلت بكلمة (عباد) كاف المخاطب، وردت في سبعة مواضع في القرآن الكريم ([34]) ثلاثة منها على لسان الشيطان، قال تعالى: {لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} (سورة النساء 118)، وآية أخرى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (سورة الحجر 39 – 40) ([35]).

عندما يتكلم الشيطان عن الغواية ويستثني منها عباد الله المخلصين، يأتي بلفظ (عبادك)، فيتبادر إلى الذهن سؤال هو لم قال عبادك ولم يقل خلقك؟

ومن الاقوال في تفسير هذه الآية، أن قوله (من عبادك) إقرار من الشيطان بأنه بالرغم من غوايته لهؤلاء العباد، لا ينسلخون عن شأن العبودية لله، والله ربهم يحكم بينهم كيفما يشاء. ([36])

وفي تفسير اخر أن قول الشيطان (من عبادك) ليس انكاراً منه لعبوديته لله سبحانه، ولكن هي قسوة وجلافة منه في الخطاب بسبب خبث تفكيره وسوء نيته ([37])، من الطبيعي أن إبليس حاقد وحانق على بني ادم بسبب تفضيل الله سبحانه وتعالى لهم؛ ولأنهم السبب في طرده من رحمة الله، فكأنما الشيطان يريد أن يقول هؤلاء خلقك

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

الذين فضلتهم علي، وجعلتهم خلفاء في الأرض، واتخذتهم عباداً لك سأظلهم حتى اثبت بأنهم ليسوا أهلاً لهذا المنصب والتكريم الذي حبوتهم به. هذا من المنظار العام؛ لأنَّه يستثني عباد الله المخلصين الذين عرفوا الله وعبدوه حق عبادته فاستخلصهم الله لنفسه، ومما يؤيد هذا المعنى ويعضده هو جواب الله سبحانه وتعالى لإبليس، فالله جل جلاله ينسب العباد إلى نفسه بإضافتهم إلى ياء الجلالة، ويقرر قول ابليس ولا يغيره بلفظ اخر فقط يحول الضمير بما يتوافق مع الجواب، فيقول تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (سورة الحجر 42).

وأما بقية الآيات فقد وردت على لسان الأنبياء، فقد جاء على لسان عيسى (ع): { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سورة المائدة 118)، وعن نوح (ع) : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا – إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } (سورة نوح 26 – 27)([38])، فالنبي عيسى عليه السلام يبين أنَّ أمر الخلق كله إلى الله إن يشاء عذبهم وهذا حقه، وإن شاء غفر لهم فهو العزيز الحكيم فهم عبيد الله ولن يخرجوا عن ارادته وقيوميته([39])، ونستشعر من كلام النبي استدرار لرحمة سبحانه، فالله جل جلاله حتى في عذابه حكمة ورحمة ، وكذا في دعاء نوح ، فنوح عليه السلام لم يكن دعاؤه ناتجاً عن غضب أو انتقام أو حقد([40]) ، لا بل فيه رحمة لعباد الله المؤمنين.

ويحكي القرآن عن سليمان (ع): { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (سورة النمل 19) ، إذ طلب أن يجعله الله من العباد الصالحين، وهذا الصلاح كان المقصود به صلاح الذات والنفس ليستعد به لقبول أي كرامة الهية، وصلاح النفس أرفع قدراً من صلاح العمل، وقد امتدحه الله بهذا الطلب فقال عنه { وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } (سورة ص 30)([41]).

فسليمان (ع) طلب أن يدخل في العبودية الخاصة أي كان يرنو إلى مقام العبودية، فهو داخل في العبودية العامة، لا بل الخاصة ايضاً، ولكن لكل مقام درجات وسليمان كان يهدف إلى الدرجات العليا من مقام العبودية.

4- عباده:

هاء الغيبة من أكثر الضمائر اتصالاً بكلمة عباد التي تعود على لفظ الجلالة. وعند تتبع سياق الآيات نجد أنَّها جاءت في الغالب على المعنى العام لكلمة عباد (بالمعنى التكويني) فمرة تأتي مع آيات الرزق التي توضح أنَّ الله يرزق من يشاء من عباده قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (سورة الأعراف 32) ([42]) والرزق الوارد في الآيات أعم من الرزق المادي فقد يشمل المعنوي ايضاً.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

وفي عدة آيات يؤكد لنا الله سبحانه وتعالى أنَّه القاهر فوق عباده وهو خالقهم وأخبر بهم من أنفسهم، وقد تكرر هذا التأكيد مع كلمة عباده دون بقية الضمائر وهذا يعزز معنى العمومية في هذا الضمير مثل قوله تعالى : {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (سورة الأَنعام 18)([43])، ونجد في آية يؤكد الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي يغفر ذنوب عباده، قال تعالى : {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (سورة التوبة 104) ([44])

وفي آيات يبين الله لنا ان الهداية هي فضل من الله يمنُّ به على عباده، قال تعالى: {ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (سورة الأَنعام 88) ([45])، بل حتى في سياق التهديد والوعيد تأتي كلمة (عباده)، قال تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (سورة الزمر 7) ([46])

وهناك عدد من الآيات جاءت فيه كلمة (عباده) لتدل على فئة مخصوصة ومعينة وتحمل معنى التشريف والتكريم فمرة يقصد بهم الله سبحانه انبياءه المصطفين، قال تعالى {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} (سورة النمل 59)

ومرة أصحاب الجنة كقوله تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} (سورة مريم 61)، وغيرها من الآيات التي تخص فئة معينة. ([47])

ويتبين لنا من خلال استقراء الآيات أنَّ كلمة (عباده) جاءت في سياقات متنوعة ومتعددة، وما هذا التنوع في السياقات إلا دليل على رحمة الله ولطفه بخلقه، فنراه يصف من أطاعه وعرف حقه حتى استحق الجنة، واستحق ان يكون من المصطفين بـ(عباده)، والمذنب العاصي الذي لولا رحمة الله وغفرانه لأصبح من الهالكين يقول عنه (عباده)، وفي مقام بيان قدرته وهيمنته على خلقه وأنَّه خبير وعليم وبصير بأحوالهم فهم ايضاً (عباده)، وعندما يوزع الرزق على خلقه فهم كلهم (عباده).

فالله عندما ينسب العباد إلى نفسه وإن كان بضمير الغائب على اختلاف أحوالهم وطاعتهم له وإنابتهم إليه، إشارة إلى عظيم عفوه ورحمته وحبه لعباده، فالله اشد حباً بالإنسان من أمّه التي انجبته، كيف لا وهو أرحم الراحمين. رحمة الله لا يمكن لعقولنا القاصرة أن تدركها أو تفهمها فهي خارجة عن مقاييسنا المادية المحدودة، رب العالمين جل جلاله حتى في عقابه رحمة، فالعبد وإن استحق بذنوبه عذاب الله وعقوبته، فهذا العقاب باطنه رحمة نحن لا ندركها ولا نعقلها.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

اللهم عاملنا برحمتك ولا تعاملنا بعدلك، وارحمنا برحمتك واجعلنا من أحسن عبيدك نصيباً عندك. يا ارحم الراحمين..

الخاتمة

ونعرض أهم النتائج التي توضحت لنا من خلال البحث في سياق الآيات الكريمة، وقد أُشير اليها ضمن البحث، ولكن نبينها هنا بشكل مجمل:

- ❖ الاسم المضاف يكتسب الشرف والرفعة من الاسم المضاف اليه، فعندما وردت كلمة عباد مضافة إلى لفظ الجلالة، جاءت في الغالب لتشير إلى علو وشرف وعظمة منزلة أولئك العباد.
- ❖ إضافة لفظة عباد إلى اسم (الرحمن) يكون في سياق آيات تعداد النعم وهي التي تناسب الرحمة العامة التي يدل عليها هذا الاسم، فالله جل جلاله يفيض بنعمه ورزقه على جميع عباده بغض النظر عن مقدار طاعتهم وايمانهم به سبحانه.
- ❖ إضافة (نا المتكلمين) إلى عباد يعطي دلالة من التعظيم والاهمية لشأن أولئك العباد، ويمنح أهمية لدورهم بين الناس، لذلك جاءت في الغالب للإشارة إلى الأنبياء.
- ❖ ياء المتكلم، هي الضمير الذي إن اتصل بلفظة عباد ادخل الانسان في دائرة العبودية، وعزز عنده الشعور بالانتماء إلى الخالق العظيم الرحيم، الذي لا يترك عبده مهما ابتعد عنه، فهو قريب منه، محيط به، يدخله في حصنه متى ما عاد اليه.
- ❖ تعددت وتنوعت السياقات التي جاءت فيها كلمة عباد مضافة إلى (هاء الغيبة)، وما هذا التنوع والتعدد الا دليل على (العبودية التكوينية) فالناس على اختلاف أفكارهم واحوالهم هم عباد لله سبحانه.

- المصادر

[1] القران الكريم
[2] الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عبد الباري عطية علي، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ ق.
[3] ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ.
[4] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر– بيروت.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

[5] بركات، أكرم، ميزان السير والسلوك (ميزان تزكية النفس على ضوء منهج الامام الخميني)، مؤسسة روح الله للثقافة والفن، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.

[6] الراغب الاصفهاني، ابي القاسم حسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن: تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

[7] السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة 35، 1425هـ ق.

[8] الشيرازي، مكارم ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الامام علي بن أبي طالب (ع)، قم المقدسة، الطبعة الأولى، 1421هـ ق.

[9] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1390هـ ق.

[10] الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة، 1413 هـ ق.

[11] عبد الباقي، د. صابر أحمد: الانتماء، كلية الآداب جامعة المينا: بحث منشور على شبكة الانترنت في موقع (كنانة اونلاين)
http://kenanaonline.com/users/drsaber/posts/78365

[12] عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، 1945م/1364هـ.

[13] الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ ق.

[14] مركز نون للتأليف والترجمة، بين العبادة والعبودية، جمعية المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، 2001م-1421هـ.

[15] مركز نون للتأليف والترجمة، روح العبادة، جمعية العارف الإسلامية، 2015-1436هـ.

[16] النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، انتشارات اسماعيليان، قم، الطبعة السابعة، 1428هـ.

- The Holy Qur'an

- Al-Alusi, Mahmoud bin Abdullah, Rooh Al-Ma'ani in Tafseer Quran and Al-Saba'a Muthani. Investigation: Abdelbari Attiya Ali, Publications of Daar Al-Ketab Al-Almai'aby Muhammad Ali Baydoun, Beirut, first edition, 1415.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

- Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher, Tafseer Al-Tahreer Wal-Tanweer, Arab History Foundation, Beirut, first edition,

- Ibn Manzoor, Mohammed bin Mekrem bin Manzoor, African Egyptian, Lissan Al-Arab, Daar Saader , Beirut

- Barakat, Akram, Mizan Al-Saeer Wal-Solok (Balance of Self-Commendation in Light of Imam Khomeini's Approach), Ruhollah Foundation for Culture and Art, First Edition, 1426H-2005.

- Al-Ragheb Al-Asfahany Abi Al-Qassem Hussein bin Mohammed: Mufradat in Ghareeb Al-Qur'an: Investigation: Mohammed Syed Gailani, Dar Al-Ma'raefa, Beirut,Lebanon.

- Al-Sayd Qutob, In Dhelal of Al-Qur'an, Daar Al-Shurroq, Qairo,Publication 35, 1425.

- Al-Sherazi, Makrem Nasser, Alamthal Fi-Tafseer The Holy Book of Allah, Imam Ali Bin Abi Talib(P), The Holy City of Qom, First edition 1421.

- Al-Tabatabai, Mohammed Bin Hussein, Al-Mizan Fi-Tafseer Al-Qur'an, Al-A'alami Foundation for Publications,Beirut, second edition, 1390.

- Al-Tubrosi, Al-Fazal Bin Al-Hassan, Majma'a Al-Bayan Fi-Tafseer Al-Qur'an, Nasser Khesru, Tehran, third edition, 1413.

- Abdul-Baqi,Mohammed Fua'ad, Al-Muajam Al-Mufahras Le-Alfadh Al-Qur'an Al- Kareem, Egyptian Dar Kutob, 1945/ 1364.

- Fakher Al-Razi, Mohammed Bin Omar, Al-Tafseer Al-Kabeer(Moftah Al-Ghaeb), Arabic Heritage Revival House, Beirut, third edition, 1420.

- Noon Center for Composition and Translation, Rooh El- Ebaada, Islamic knowledge Association, 2015 / 1436.

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

- Al-Naraqi, Mohammed Mahdi, Jame'a Al-Sa'adat, Isma'elians' Publications ، Qom, 7th edition, 1428.

[1]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر- بيروت: (273/2).
[2]) علم الدلالة أحمد مختار عمر : 40
[3]) ينظر : علم الدلالة أحمد مختار عمر : 40-41 .
[4]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر- بيروت: (273/2) ؛ الراغب الاصفهاني، ابي القاسم حسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن: تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان: 319 ؛ مركز نون للتأليف والترجمة، روح العبادة ، جمعية العارف الإسلامية، 2015-1436هـ، (45- 50) ؛ مركز نون للتأليف والترجمة، بين العبادة والعبودية ، جمعية المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، 2001م-1421هـ : (13-20) ؛ بركات، اكرم، ميزان السير والسلوك (ميزان تزكية النفس على ضوء منهج الامام الخميني)، مؤسسة روح الله للثقافة والفن، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م : (ص من 9 الى 20).
[5]) انظر: الراغب الاصفهاني، ابي القاسم حسين بن محمد، : (312/1)
[6]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ: (110/10)؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1390هـ ق: (15/ 120)؛ السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة 35، 1425هـ ق: (329/5)؛ الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الامام علي بن أبي طالب (ع)، قم المقدسة، الطبعة الأولى، 1421هـ ق: (297/11)
[7]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، السابق: (113/10)
[8]) الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (123/15).
[9]) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (302-297/11)
[10]) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، السابق: (230/12).
[11]) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (9/1)
[12]) تراجع آيات سورة الفرقان (40-64)
[13]) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة، 1413 هـ ق: (94/9) ؛ الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ ق : (9/14) ؛ الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (134/16).
[14]) الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (73/18).
[15]) انظر: الراغب الاصفهاني، ابي القاسم حسين بن محمد، السابق: (312/1)؛ النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، انتشارات اسماعيليان، قم، الطبعة السابعة، 1428هـ ق: (2/ 184)؛ الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (68/17)؛ الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (312/14)
[16]) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، السابق: (290/8)؛ السيد قطب، السابق: (191/6)، الشيرازي، ناصر مكارم، السابق : (388/14)
[17]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، السابق: (175/12)
[18]) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (17/ 88)
[19]) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، السابق: (297/8)؛ الطباطبائي، محمد حسين: (89/17)؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، السابق: (12/ 180)، السيد قطب، السابق: (6/ 194)؛ الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (424/14)
[20]) انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، السابق: (443-444).
[21]) انظر للآيات: يوسف: 24؛ الكهف:65؛ الصافات: (81، 111، 122، 132، 171)؛ الشورى: 5؛ التحريم: 10.
[22]) الالوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عبد الباري عطية علي، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ ق: (29/5)
[23]) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (87/14)
[24]) انظر الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (22/17)
[25]) انظر: الدخان: 23
[26]) انظر: عبد الباقي، د. صابر أحمد، الانتماء، كلية الآداب جامعة المينا : بحث منشور على شبكة الانترنت في موقع (كنانة اونلاين) http://kenanaonline.com/users/drsaber/posts/78365

JMR P-ISSN:1815-6622 E-ISSN:2789-7354
Journal of Misan Researches
Volume 20, Issue 39, (2024), PP 210 - 229

[27]) انظر: الاسراء:65.
[28]) انظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، السابق: (109/3)؛ الالوسي، محمود بن عبد الله، السابق: (131/2)؛ السيد قطب، السابق: (146/1)؛ الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (528/1).
[29]) الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (16/2)
[30]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، السابق: (327/12)؛ الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (142/17)؛ السيد قطب، السابق: (240/6)؛ الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (118/15).
[31]) انظر: الأنبياء:105؛ الفجر: 29.
[32]) انظر: الالوسي، محمود بن عبد الله، السابق: (58/14).
[33]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، السابق: (151/2)، (20/11)، (609/12)
[34]) انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، السابق: (443-444).
[35]) انظر: سورة ص: 83.
[36]) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (47/5)
[37]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، السابق: (38/4)
[38]) انظر: الزمر :46، فيها كلمة عبادك كأمر من الله للنبي محمد (ص) أي من الممكن اعتبارها على لسان النبي ايضاً.
[39]) انظر: الالوسي، محمود بن عبد الله، السابق: (202/5)؛ الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (194/4)
[40]) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، السابق: (69/19)
[41]) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، السابق: (181/15).
[42]) انظر: الاسراء:30، القصص: 82، العنكبوت: 62، الروم:48، سبأ:39، الشورى: 19، 27.
[43]) انظر: الانعام: 61، الاسراء: 17،96، الفرقان: 58، فاطر: 45،31.
[44]) انظر: الشورى: 25.
[45]) انظر: يونس :107، إبراهيم: 11.
[46]) انظر: الزمر: 16، غافر: 85.
[47]) انظر: البقرة: 90، الأعراف: 128، النحل: 2، النمل: 15، غافر: 15، الشورى: 23.